الفصل الخامس

الفتن الداخلية

(أ) فتنة الأتراك الغز فى بلاد ماوراء النهر (٥٤٨-٥٥١هـ/١١٥٤-١١٥٧م)

(ب) فتنة الاسماعيلية فى خراسان (٥٤٩هـ/١١٥٥م)

(أ) فتنة الأتراك الغز فى بلاد ماوراء النهر

(٥٤٨-٥٥١هـ/١١٥٤-١١٥٧م)

انتقل الغز(١)من أقاصى التركستان على حدود الصين الى بلاد ماوراء النهر أيام الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله (٥٣٠هـ/١١٣٦م) وأعلنوا اسلامهم وكانوا فى طاعة السلطان السلجوقى سنجر بن ملكشاه(٢).

وحينما استولى القرة خطائيون على بلاد ماوراء النهر فى معركة قطوان عام ٥٣٦هـ/١١٤٢م قاموا بطرد الغز من تلك البلاد ، فقصد الغز خراسان وأقاموا بنواحى بلخ .

وأراد حاكم بلخ الأمير قماج(٣)ابعادهم عن البلاد ، فحاولوا ارضاءه بالمال والهدايا كى يتراجع فيما ينوى عنه من ابعادهم عن البلاد ، وبالفعل رضى عنهم وعفا عنهم وسمح لهم بالبقاء فى بلخ .

وبعد ذلك أقاموا فى البلاد مسالمين لايؤذون أحدا ولايعتدون على أحد ويؤدون شعائر الاسلام الا أن الأمير قماج مالبث أن أمر بابعادهم عن البلاد والرحيل عنها ، فامتنعوا عن تنفيذ أمره وحاولوا ارضاءه بجميع الطرق واستعطافه الا أنه لم يرض وأصر على طردهم .

---

(١) الغز : تحريف للكلمة التركية أوغوز والموطن الأصلى لهذه القبائل فى أقصى التركستان على حدود الصين ، وهم طائفة من القبائل التركية النصارى ، حيث كان فى بلاد كيماك جبل يسمى منكور ، ويوجد به عين بجوارها صخرة عليها أثر رجل انسان حينما يراها الأتراك الغز يسجدون لها اعتقادا منهم أنها ترجع الى عيسى عليه السلام . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٨٧،٥٨٨ . ويذكر المقريزى : أن الغز لفظ يقع على مايتوالد بين العجم فى المدن من نسائهم وقيل الغز لفظ يقع على جنس العجم كله ، وقيل الغز فى جنس العجم كالمولدة فى العرب ، وقيل لفظة الغز تقع على التركى والتركمانى والقفشق والجنس المولد وقيل هم كل من ولد عامور بن يافث بن نوح ، وقيل الغز بجنس التركمانى والتركى أقعد ، وقيل الغز جبل من الشام . هكذا ورد فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ص٣١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٧٠ ـ عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص١٣٠ ـ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص١٣٥ .

(٣) عن الأمير قماج انظر التمهيد .

ولما فشل الغز فى ارجاع الأمير قماج عما عزم اليه ، جمعوا شملهم وانضم اليهم بعض طوائف الترك مما جعل الأمير قماج يصر على حربهم فسار اليهم فى عشرة آلاف من العسكر ، وسار اليه أمراء الغز لمحاولة استعطافه وتركهم فى دياره وأن يدفع له كل بيت من بيوت الغز مائتى درهم الا أنه أصر على اخراجهم أو قتالهم .

وقد دفع ذلك الاصرار الغز الى قتال الأمير قماج فهزموه ونهبوا ماله ومال عسكره ، وقتلوا الكثير من العسكر والرعية وارتكبوا أعمالا فاحشة من قتل العلماء والفقهاء وسبى النساء ، واضطرت الهزيمة التى لحقت بوالى بلخ الأمير قماج أن يفر الى مرو حيث لحق بالسلطان سنجر(١).

ومن هنا يتبين أن الغز فى بداية الأمر كانوا مسالمين غير معتدين ، وكذلك بعد أن قرر أمير بلخ حربهم كانوا أيضا يميلون الى السلم وعدم الخوض فى حرب أو قتال ، ولكنهم اضطروا الى حرب الأمير قماج نتيجة اصراره ومبادرته فى اعلان الحرب عليهم ، وكان اعلان الأمير قماج الحرب على الغز بمثابة اعلان الحرب على نفسه ، اذ نتج عن هذا القتال أن لحقت به هزيمة منكرة .

وكان مقررا على الغز تقديم أربعين ألف رأس من الأغنام لمطبخ السلطان سنجر ، منذ أن سمح لهم بالاقامة فى بلاد ماوراء النهر ، وكان مقررا عليهم أيضا دفع مبلغ من المال.

وكان يتم تحصيل ذلك القدر من الأغنام والمال من قبل شخص تابع للسلطان ، وحدث أنه فى عام من الأعوام التى ذهب فيها المحصل لجمع ماهو مقرر عليهم كان يحقر من عظماء الغز ، ويتطاول عليهم ، وقد صبر الغز فى بداية الأمر على تعدى أعوان المحصل عليهم وظلمه لهم .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٧،٣٨ ـ العينى : عقد الجمان ، ج١٢ ورقة ٩٠ .

ولما ضاق الغز ذرعا بذلك من المحصل لظلمه وطغيانه وتطاوله على كبار رجالهم قتلوه ، ولم يكتفوا بذلك بل امتنعوا عن دفع ماكان مقررا عليهم من الأغنام والمال ، ولما لم يعد المحصل الى مرو عاصمة السلطنة فى الميعاد المحدد له ، مما أقلق ذلك رئيس المطابخ السلطانية ولاسيما بعد أن علم بمقتله . خشى من عاقبة اخبار السلطان سنجر بخبره .

واستمر الحال على ذلك الى أن وصل الأمير قماج والى بلخ الى مرو فى خدمة السلطان سنجر ، فأخبره رئيس المطابخ بما حدث للمحصل ، فأخبر الأمير قماج السلطان سنجر بأن الغز قد علا شأنهم وأظهروا العصيان والتمرد .

وعرض الأمير قماج على السلطان أنه قادر على اخضاع الغز للطاعة وتنفيذ الأوامر اذا خضعوا لحكمه وسلطانه ونفوذه وكانوا تحت سيطرته ، فأجابه السلطان سنجر الى طلبه وماعرضه عليه فيما يتعلق بالغز الذين تمردوا.

وأرسل قماج رسولا من قبله الى الغز يطالبهم بدفع غرامة نتيجة عصيانهم وتمردهم ، فما كان من الغز الا وأن طردوا رسول قماج بعد اهانته.

وكانت حجة الغز فى طرد رسول قماج من بلادهم أنهم يخضعون للسلطان سنجر وليس لأحد غيره حكم عليهم . ونتيجة لذلك قرر الأمير قماج قتالهم ، فخرج على رأس جيش كبير ومعه ابنه الا أنهما قتلا فى المعركة على يد الغز(١).

وحينما وصل خبر مقتل الأمير قماج وابنه الى السلطان سنجر ، ثار أمراء السلاجقة ، وطلبوا من السلطان سنجر الخروج لقتال الغز بنفسه وألا يتهاون فى ردعهم وتأديبهم ولاتأخذه بهم رأفة أو رحمة لأنهم اذا تركوا

---

(١) اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١٠١،١٠٢ ـ الراوندى : راحة الصدور ص٢٦٩،٢٧٠ ـ الخواندمير : حبيب السير ، ج٢ ، ص٩٩ .

زادوا فى طغيانهم وتمردهم ، فقرر السلطان سنجر قتالهم وجمع عساكره فاجتمع معه مائتى ألف مقاتل وسار عل رأس الجيش لقتال الغز ، وحينما بلغ الغز تحرك السلطان سنجر نحوهم على رأس جيش كبير أرسلوا اليه رسولا من قبلهم يستعطفونه ويقدمون له الاعتذار ويطلبون الصفح عنهم ، ويخبرونه بأنهم دائما كانوا مطيعين أوامره ، ولما قصد قماج ديارهم لقتالهم اضطروا لقتاله دفاعا عن أولادهم فقتل قماج ، وعرضوا على السلطان سنجر دفع دية مقدارها مائة ألف دينار ، وأن يقدموا له ألف غلام تركى . وكاد السلطان يقبل اعتذارهم الا أن أمراء السلاجقة رفضوا ماعرضه الغز على السلطان سنجر من معاذير وتعويضات وأجبروا السلطان على قتالهم ووافقهم على قتال الغز .

وتوجه السلطان سنجر لقتال الغز ، وحينما وصل اليهم خرجوا اليه ومعهم نساؤهم وأطفالهم وتضرعوا اليه ، وطلبوا منه العفو عنهم على أن يقدم له كل بيت من من الفضة(١).

وكاد السلطان سنجر يصفح عنهم لولا تدخل أمرائه واصرارهم على قتال الغز ، فلم يجد السلطان بدا من قتالهم .

ودارت الحرب بين الطرفين سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م ، وتهاون جيش السلطان سنجر فى القتال ، وكان مقابل هذا التهاون عن قبل رجال سنجر الاستبسال والاجتهاد من قبل الغز فى بذل أرواحهم من أجل البقاء ، وأنزلوا بجيش السلطان الجرار قتلا وأسرا ، وانتهت المعركة بهزيمة نكراء بجيش السلطان سنجر ، فهلك الكثير من جنده ووقع هو نفسه أسيرا فى أيديهم ، وأحضروه الى دار الملك بمرو دون أن يلحقوا به أى أذى(٢).

---

(١) المن : هو ٢٤ كيلو من الفضة .
اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١٠٣ .

(٢) اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١٠٢،١٠٣،١٠٤،١٠٥ ـ الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٧٠،٢٧١ ـ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص٩٥ ـ نافع توفيق العبود : الدولة الخوارزمية ، ص٢٩،٣٠،٥٤ .
Claude-Cahen, Pre-Ottoman, Turkey, p.48 .

وكان الغز يعاملون السلطان سنجر وهو فى أسرهم معاملة متناقضة ، فكانوا يجلسونه نهارا على عرش السلطنة ويقبلون الأرض بين يديه معترفين أنه السلطان وهم الخاضعون لأوامره ، وأنه لم يرد قتالهم ولكنه أجبر على ذلك ، ثم يسجنونه ليلا ويعاملونه معاملة سيئة للغاية ، فيقدمون له القليل من الطعام ، ويمنحونه راتبا لايكفى لسائسه وأذاقوه الذل وأصبح صورة بلامعنى(١).

واستمر الحال على ذلك شهرين وهم يعاملونه تلك المعاملة المتناقضة ، ثم دخلوا ومعهم سنجر الى مرو وهى مقر الملك فى خراسان ، وطلبها منه أحد الأمراء اقطاعا لهم فما كان من السلطان الاأنه رفض طلبه على أساس أن مرو دار الملك ولايجوز أن تصبح اقطاعا لأحد ، فسخروا منه فترك لهم كرسى الملك وبذلك استولوا على البلاد وارتكبوا فيها مالم يسمع به من قبل من أعمال وأفعال نكراء .

وولى الغز واليا من قبلهم على نيسابور حيث ساد فيها ظلما وقهرا للناس ، ومن ثم ثار الناس عليه وقتلوه . وبوصول الغز الى نيسابور عاثوا فيها فسادا وقتلوا الكبار والصغار والعلماء والفقهاء والقضاه(٢).

ومن هذا يتبين أن الأتراك الغز فى بداية ظهورهم على مسرح التاريخ فى أوائل عهد سنجر كانوا فى غالبية أحوالهم يميلون الى السلم والطاعة ثم مالبث أن وصل بهم الأمر بعد حربهم للسلطان سنجر وهزيمته وأسره أن عاثوا فى الأرض خرابا ودمارا وسلبا ونهبا وقتلا وسفكا للدماء .

وبعد هزيمة السلطان سنجر على يد الأتراك الغز ووقوعه أسيرا فى أيديهم ، ثم تنازله عن سرير الملك أغار الغز على مدينة مرو ثلاثة أيام

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٨ ـ العينى : عقد الجمان ، ج١٢ ، ورقة ٩٠ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٣٢،٢٣٣،٢٣٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٨،٣٩ ـ العينى : عقد الجمان ، ج١٢ ورقة ٩٠ ـ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ص٤٧٣ .

فنهبوا فى اليوم الأول الأشياء الذهبية والفضية والحريرية الخاصة بملوك الدولة وأمرائها وعامة أهلها ، وفى اليوم الثانى نهبوا الأشياء والممتلكات النحاسية والحديدية والرصاصية ، وفى اليوم الثالث نهبوا الأشياء التافهة ، ومن هذا يتبين أن الغز لم يتركوا شيئا غاليا أو رخيصا الا وقد نهبوه وأخذوه عنوة .

وبعد الغارات المتعددة على المدينة قاموا بأسر أهلها دون التفرقة بين الصغير والكبير وعذبوهم لاظهار مايخفونه من أشياء ، ولم يتركوا شيئا على وجه الأرض الا وأخذوه ونهبوه ، ومن آثار النهب والسلب لهؤلاء الغز فى مرو أن أصبح أغنياؤها فقراء .

ثم توجه الأتراك الغز بعد ذلك الى نيسابور ، ولكن فى بداية الأمر قاومهم أهلها ، الا أن الهزيمة مالبثت أن حلت بأهل نيسابور ، ولجأ أهلها من هول مايرتكبه الغز معهم الى المسجد الجامع ، فقتل الغز كل من كان فى المسجد من قضاة وعلماء وشيوخ وأطفال . وظل الغز فترة فى نيسابور يقتلون وينهبون وكان قتلهم لأهل نيسابور لايتوقف ليلا ونهارا وصارت القتلى لاتعد ولاتحصى ، ولم يبق من أهل نيسابور الا أعداد قليلة(١).

وبعد هزيمة السلطان سنجر فارقه أمراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك(٢)وواصلوا السير الى نيسابور واستدعوا الملك سليمان شاه بن السلطان محمد(٣)فى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م واعترفوا به وخطبوا له

---

(١) اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١٠٥،١١٠ ـ الراوندى : راحة الصدور ص٢٧٢،٢٧٥ .

(٢) طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك : توفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٤٠ .

(٣) ورد عند ابن الأثير خطأ سليمان بن محمود ، انظر : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٩ .

بالسلطنة ، وبذلك أسقطوا حق سنجر فى السلطنة واسمه من الخطبة .

وتجمع العسكر السلطانى حول سليمان شاه متجهين الى مرو عاصمة الملك لقتال الأتراك الغز ، ولما برز اليهم الأتراك الغز ولوا الأدبار وفروا نحو نيسابور ، وسار الغز فى أدبارهم يتبعونهم حيث مروا بطوس(١)وهى معقل العلماء والزهاد فعاثوا فيها فسادا ودمارا وخرابا فسبوا نساءها ، وقتلوا رجالها ، وهدموا مساجدها ، وقتلوا من أعيانها الامام محمد المراكشى(٢)، ونقيب العلويين على الموسوى(٣)، وخطيبها اسماعيل بن المحسن(٤)وقتلوا كثيرا غيرهم من الشيوخ الصالحين . وتوجهوا بعد ذلك الى نيسابور فوصلوا اليها فى سنة ٥٤٩هـ/١١٥٥م ، ولم يجدوا فيها أدنى مقاومة من أهلها حيث دخلوها ونهبوا وقتلوا من فيها وأحرقوا مافيها من كتب(٥).

وتغيرت نيسابور تغيرا كبيرا خلال سنتين أو ثلاثة من سيطرة الأتراك الغز عليها ، وتغيرت معالمها لدرجة أن أهلها لم يعرفوا أماكن سكناهم ، وتلاشت مدارس العلم ومجامع الأنس وأصبحت مراعيا للأغنام ومرتعا للوحوش ، ففقدت نيسابور مميزاتها التى كانت تنفرد بها فلم يعد يلجأ اليها

---

(١) طوس : مدينة تقع باقليم خراسان وعلى ستة عشر فرسخا من نيسابور ، وطوس العظمى يقال لها نوقان ، وهى مدينة كبيرة حسنة المبانى ، وكثيرة الأسواق ، وشاملة الأرزاق .
انظر الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، ص٣٩٨ ـ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٣٠ .

(٢) محمد المراكشى : قتل فى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٩ .

(٣) على الموسوى : قتل فى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٩ .

(٤) اسماعيل بن المحسن : قتل فى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٩،٤٠ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٧١ .

المسافر وقت حاجته(١).

أما السلطان سليمان شاه فقد ضعف وكان سيء السيرة والتدبير ، وما لبثت أن انحلت دولته وفارق خراسان فى نفس السنة وعاد الى جرجان(٢).

وظل السلطان سنجر فى أسر الأتراك الغز من ٦ جمادى الأولى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م حتى شهر رمضان سنة ٥٥١هـ/١١٥٧م(٣)، حين تمكن من الهرب من أسرهم .

وكان سنجر طوال مدة أسر الأتراك الغز له ، لايفكر فى الهرب ، الا أنه بعد وفاة زوجته تركان خاتون ـ فكر فى الهرب . وكانت خطة السلطان سنجر فى الهروب تتمثل فى أن يذهب الى باب مدينة بلخ حيث يقابل جماعة من أتباعه الذين سيكون لهم دور فى هروبه منهم مؤيد آى أبه(٤)

---

(١) الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٧٦ ـ اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٤٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٥٠ ـ أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص٣٠ ـ العينى : عقد الجمان ، ج١٢ ، ورقة ٩٦ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢٣٣ ـ تاريخ ايران : شاهين مكاريوس ، مطبعة المقتطف ، مصر ١٨٩٨م ، ص١٢٩ .

(٤) مؤيد آى أبه : كان مملوك السلطان سنجر ، كبر شأنه أثناء الاضطرابات الغزية ، ودخل تحت طاعته كثير من الأمراء مما ساعده على احتلال نيسابور ، وطوس ، ونسا ، وأبيورد ، وشهرستان ، والدامغان وهراة ، وقعت معركة بين مؤيد وخوارزمشاه تكش ، انهزم المؤيد وأخذ أسيرا الى خوارزمشاه تكش فأمر بقتله سنة ٥٦٨هـ/١١٧٤م .

انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٩١،١١٥ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ص٢٣٢ .

والأمير عماد الدين أحمد بن بكر قماج(١)، وقد تمكنوا من مقابلة السلطان فى حضور بعض من أمراء الغز مثل كركود(٢)وطوطى بك(٣)، وتمكن المؤيد آى أبه أن يجعل جماعة من الأتراك الغز تنضم اليه لمساعدته ومعاونته لتخليص السلطان سنجر ، حيث وعدهم بمكافأة كبيرة من السلطان.

واستغل المؤيد فرصةمناوبة هؤلاء الغز لحراسة السلطان سنجر ، وركب مع هؤلاء الغز والسلطان وأتباعه بحجة الخروج للصيد حتى وصلوا الى شاطىء نهر جيحون .

وكان الأمير عماد الدين أحمد قد جهز من ذى قبل زوارق للهرب ، وفى غفلة من الغز تمكن السلطان سنجر ومن معه من الهروب . وبعد مضى وقت رجوع السلطان من الصيد ، خرج أمراء الغز فى أثره للبحث عنه حتى وصلوا الى شاطىء النهر ، بينما كان السلطان وأتباعه قد عبروا النهر . وتوجه السلطان سنجر الى قلعة ترمذ وتحصن بها ، ولما علم أمراء خراسان بهروب السلطان أسرعوا اليه مع جيش خراسان ، ومن ثم توجه السلطان على رأسهم الى مدينة مرو دار الملك .

وحاول السلطان سنجر جمع شتات جنده وتكوين جيش جديد ، وأخذ يعد العدة من أجل تنظيم مملكته واعادة بهجة وبهاء ورونق خراسان الا أنه انتابه حزن شديد عندما وجد الخزائن خالية وخاوية ، ومايعم البلاد من خراب ودمار ، والولاه منكسرين ، والرعية مشردين ، فتركت جميع

---

(١) عماد الدين أحمد بن بكر قماج : هو الأمير سباهسلاد الأجل الكبير عماد الدين أحمد بن علاء الدين أبو بكر بن قماج ، تولى امارة خراسان كما أنه كان قائد عسكر السلطان .
انظر الحسينى : المصدر السابق ، ص٢٣٢ .

(٢) كركود : لم أقف له على ترجمة .

(٣) طوطى بك : لم أقف له على ترجمة .

هذه الأحوال التى وجدها فى البلاد فى نفسه الهم والحزن وحل عليه المرض(١).

ثم ساءت حالة السلطان ، فقد أصيب بالقولنج(٢)والاسهال ، ولم يكن الأطباء آنذاك الوقت يقدرون على معالجته وعجزوا عن تقديم الدواء له(٣).

وتوفى السلطان سنجر سنة ٥٥٢هـ/١١٥٨م ودفن فى قبة(٤)بناها لنفسه فى مرو سماها دار الآخرة ، ولما وصل خبر وفاته الى بغداد قطعت خطبته ولم يجلس له فى العزاء(٥).

---

(١) اليزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص١١٢ ـ الراوندى : راحة الصدر ، ص٢٧٧،٢٧٨ .

(٢) القولنج : مرض معوى مشهور مؤلم جدا يعسر معه خروج الثفل والريح . انظر البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، تحقيق محمد كرد على ، ص١٥٣ .

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج٢ ، ص٩٢ ـ أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص٣٣ ـ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٣٦٣ .

(٤) وهو عبارة عن ضريح مربع الشكل كبير ، وقد توجت الحيطان الأربعة بأوراق مغطاة ببلاط عادى ، أما كهوف الأروقة مغطاة ببلاط عليه خطوط بارزة مكتوب عليه كتابات لطيفة فوق أرضية مزخرفة بنماذج من الزهور ، كما تتجمع فيها كل المستحدثات والتطورات التى أوجدها السلاجقة فى مجال عمارة القباب حتى ذلك التاريخ .
انظر اوقطاى آصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، استانبول ١٩٨٧م ، ص٤١ ـ زكى محمد حسن : الفنون الاسلامية ، دار الفكر ، ص٨٧،٨٩ ـ أرنسنت كويل : الفن الاسلامى ، ترجمة أحمد موسى ، دار صادر بيروت ١٩٦٦م ، ص٦٠،٦١ ـ نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية ، دار المعارف ، مصر ، ص١٠١،١٠٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٥٥ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٣٧ ـ الذهبى : دول الاسلام ، ج٢ ، ص٦٩ ـ الأصبهانى : البستان الجامع لأهل الزمان ، ورقة ١١٠ .

وهـذا يدل على أن المسلمين فى تلك الفترة كثرت عنـدهم البدع فبناء القباب على القبور لايجوز وأن هذه بدعة أدت الى الانحراف للعصور المتأخرة الا أن أهل السنة والجماعة أقدموا على ازالة هذه البـدعة ، خاصة من أرض الحرمين الشريفين وشبه الجزيرة العربية عامة .

والمقلـب لصفحـات التاريخ يجد أن عهـد السلطـان سنجـر مـن العهود المتميزة فى تاريخ الـدولة السلجـوقية ، فقد بدأ عهد السلطـان سنجر بقدومه مع أخيه السلطان محمد الى مدينة بغداد ، حيث عهد الخليفـة العباسى آنذاك المستظهـر باللـه بالسلطنة الى محمـد وعهـد الى سنجر بولاية العهـد ، وبوفـاة السلطان محمد خطب لسنجر بالسلطنة . ومنذ ذلك الـوقت ظل يخطب له على منابر بلاد الدولة السلجوقية لمدة أربعين سنة ، وكـان يخطب له من ذى قبل لمدة عشرين سنة .

وكـانت سيرته حافلة بكل المواقـف البطولية والانسـانية ، وكـان مهيبا كريما ، وأكثر السلاطين عطـاء ، وكانت البلاد فى عهده أكثر أمنـا وأمانا من العهود السالفة .

وبعد وفاته راسل أمراء السلاجقة الخان محمود بن محمد بن بقرخان(١) وهو ابن أخت السلطان سنجر ، واستدعوه وملكوه أمورهم وخطبوا له على

---

(١) الخان محمـود بن محمـد بن بقـرخان : راسلـه الغز على أن يحضـر اليهـم ليملكـوه عليهـم سنة ٥٥٣هـ/١١٥٩م فخاف على نفسه وأرسل ابنه اليهـم فأطاعوه ، ثم لحق بهـم الملك محمود بعد أن وثق منهـم ، ثم خلع سنة ٥٥٦هـ/١١٦٢م ونهبـت طوس وغيرها من مدن خراسان واستطاع المؤيد (صاحب نيسابور) أخذ الملك محمود بن محمـد وكحله وأعماه وأخذ كل ماكان معه من الأموال والجواهـر ، وقطع المؤيد خطبته من نيسابور وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد باللـه (٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، وقد تمكـن المؤيد من سجن السلطان محمـود بن محمد وابنه جلال الـدين محمد ـ الذى كان قد ملكه الغز أمرهم ـ معهمـا جواريهمـا الى أن مـات السلطـان محمـود سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٢م ، ثم مات ابنه بعده .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٥٥،٥٩،٧٤ .

منابر خراسان ، وكان السلطان سنجر قبل موته قد استخلفه على ملك خراسان(١).

ومن الحقائق التاريخية الثابتة التى لايمكن الخلاف عليها أن فتنة الأتراك الغز وهزيمتهم للسلطان سنجر على مقربة من بلخ سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م وأسرهم له كانت ضربة قاضية لدولة السلاجقة فى المشرق ، فما ترتب ونجم عنها من نتائج أنهكت قوى السلاجقة بصفة عامة . ذلك أن عهد السلطان سنجر يعتبر امتدادا لعهد السلاطين العظام مثل طغرل الأول ، وألب أرسلان وملكشاه ، وهو يعد آخر هؤلاء السلاطين العظام(٢).

وتمتد الضربات القاسية التى وجهها هؤلاء الأتراك الغز للدولة السلجوقية لابادتها وازاحتها من أمامهم فأسقطوا اسم السلطان سنجر من الخطبة اضافة الى فسادهم وتغييرهم لمعالم بلاد ماوراء النهر وخراسان والقضاء على العلماء والفقهاء والأئمة ، ومن ثم امتدت أدى الظلم والفساد والتدمير والتخريب والقتل والسفك وكل مامن شأنه قضاء للسلاجقة عامة .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٤٠ .

(٢) عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص١١٥،١١٦ .

(ب) فتنة الاسماعيلية فى خراسان

(٥٤٩هـ/١١٥٥م)

كان حكم دولة بنى بويه[١] شمل أجزاء واسعة من المشرق ، وكانت سياستهم الواضحة هى مؤازرة الفرق المخالفة لأهل السنة مثل الاسماعيلية ، وحينما سيطر السلاجقة على المشرق كانت سياستهم هى ابعاد أمثال هؤلاء عن الجهاز الادارى للدولة السلجوقية ، فلم يجرؤ أحد أثناء كم السلطان طغرلبك أن يعين أحدا من خبثاء المذهب الاسماعيلى وكانت سياسة كل من طغرلبك وألب أرسلان تطهير البلاد من الفرق المخالفة لأهل السنة . وقد أدت تلك السياسة من جانب آخر الى انكفاء دعاة الاسماعيلية على أنفسهم ونقد الجرأة على الظهور العلنى فى دعوتهم[٢].

ومما أوهن نشاط دعاة الدولة الفاطمية فى الشرق ماحل بهامن ضعف وانقسام بسبب الضائقة الاقتصادية والشدة التى حلت فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله[٣] (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) والفتن التى كانت بين الجند ، مما فرض عليها الالتفات الى مشاكلها الداخلية ومحاولة حلها ،

---

(١) بنو بويه : قوم من الشيعة المغالين فى عقائد هذا المذهب ، لايعترفون بحق الخليفة العباسى السنى فى السلطة والسيادة على جميع العالم الاسلامى ، وكان معز الدولة أحمد (٣٢٠هـ/٩٣٣م) أول من تولى السلطنة من بنى بويه ، عندما قوى أمره حجر على الخليفة المستكفى (٣٣٣هـ/٩٤٤م) وقد سار سلاطين بنى بويه على نفس الأسلوب حيث لم يتورعوا عن التعدى على الخلفاء العباسيين وينتقصوا من حقوقهم ، وقد امتد نفوذ بنى بويه فى عهد عضد الدولة (٣٦٧هـ/٩٧٧م) فى البلاد الممتدة بين بحر قزوين والخليج العربى ، ومن أصفهان الى حدود سوريه ، وأصبح اسمه يذكر فى الخطبة وينقش على السكة .
انظر حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص٦٣،٦٦ .

(٢) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص٢٣٣-٢٣٨ .

(٣) هو : أبو تميم معد بن أبى الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله العلوى ، لقب المستنصر بالله ، ولد بالقاهرة سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م ، تولى الخلافة بعد وفاة والده سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م على مصر والشام ، وكانت مدة خلافته ستين سنة وأربعة أشهر ، دعا له حسن الصباح بالامامية فى المشرق ، وتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وعمره سبعة وستون سنة .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص١١،١٧٣ - مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص٢٣٣-٢٣٨ .

والانصراف عنها تاركين دعاة الاسماعيلية فى المشرق يواجهون الضغط السلجوقى ، دون تقديم أى تأييد أو دعم مادى أو معنوى لهم فلم يكن أمام الدعاة الفاطميين الا أن يلزموا السكينة حتى تأتى الظروف المواتية لهم كما أن الدولة الفاطمية خسرت أعالى بلاد الشام ، وأصبح السلاجقة سادتها وأزالوا مظاهر التشيع التى نشرها الفاطميون فيها(١).

وكان الفاطميون بجانب اهتمامهم بدعاتهم استغلوا الصراع الخفى بين السلطان ملكشاه وبعض وزرائه وبين نظام الملك بغية حدوث ثغرة لايجاد من يقوم بنشر دعوة الاسماعيلية فى المشرق ، وكان الاختيار الذى وقع عليه دعاة الاسماعيلية حسن بن محمد بن الصباح(٢)الذى يعد الزعيم الثانى للاسماعيلية(٣).

وقد ازداد نفوذ الاسماعيلية فى بعض أجزاء ايران لكن لم يلبث هذا النفوذ أن ضعف وأخذ يتلاشى فى بداية العهد السلجوقى بسبب تعقب السلاجقة السنة لهم ، غير أن الدعوة الاسماعيلية عاودت نشاطها فى عهد السلطان ملكشاه على يد حسن بن محمد بن الصباح بعد زيارته القاهرة فى

---

(١) محمد ربيع هادى المدخلى : المشرق الاسلامى فى عصر سلاطين السلاجقة العظام ، رسالة دكتوراه فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص٤٧٢-٤٧٥ .

(٢) الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الاسماعيلى ، ولد فى مرو عام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م ، قيل أنه يمانى الأصل من حمير ، وتتلمذ لأحمد بن عطاش ، فصار مقدم الاسماعيلية بأصفهان ، أتقن علم الهندسة والحساب والنجوم ، طاف البلاد فدخل مصر وطلب منه المستنصر الفاطمى بعد اكرامه أن يدعو الناس الى امامته ، فعاد الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ، ورجع الى خراسان ، ودخل كاشغر وماوراء النهر داعيا الى امامة المستنصر ومن بعده الى ابنه الأكبر نزار ، استولى على قلعة الموت سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م وطرد صاحبها ، ثم ضم اليها عدة قلاع واستقر فيها الى أن توفى سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م .
انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٣٩،١٤٠ - الزركلى : الأعلام ، ج٢ ، ص١٩٣

(٣) البزدى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص٨٤،٨٥ - سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٥٤٩ - مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص٢٤١،٢٤٣ .

أواخر عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله رحل الى ايران يدعو الى امامة نزار بن المستنصر بالله الفاطمى بعد وفاته (المذهب الاسماعيلى النزارى)(١) والتفت حوله الكثير من الأتباع والمؤيدين لمذهبه فزادت قوته واستطاع أن يستولى على قلعة الموت(٢)حيث اتخذها مقرا لدعوته الاسماعيلية(٣)والداعية الأكبر لها هو أحمد بن عبد الملك بن عطاش)(٤).

وكان جيش الاسماعيلية يشتهر بالحماس والاستعداد للتضحية بالنفس من أجل حماية دعوة الاسماعيلية ، وكثر بينهم الفدائيون الذين كانوا

---

(١) المذهب الاسماعيلى النزارى : أحد أفرع المذهب الاسماعيلى ، وينسب الى نزار بن المستنصر بالله الفاطمى .
انظر عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص٧١،٧٢ .

(٢) قلعة الموت : كلمة ديلمية ، وهى مكونة من (آلة آموت) أى المكان الذى أرشد عليه العقاب .
انظر ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٩٤ - ادوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ص٣٨٩ - عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص٦٣ - وتقع القلعة فى جبل ايلبورز شرق قزوين . انظر الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٣٩ .

(٣) هم من شيعة آل على الذين يعتقدون فى سبعة أئمة آخرهم اسماعيل بن جعفر الصادق ، ومن أهم مبادىء الاسماعيلية ايمانهم بالامامة لاعتقادهم عجز العقل البشرى عن معرفة الله عز وجل ، ومن ثم يجب على الناس اختيار امام لهم يقوم بارشادهم .
ومن الأسس التى يقوم عليها مذهب الاسماعيلية بأن للعقيدة ظاهرا وباطنا ، وأدى ذلك الى تأويل أحكام الشريعة فأصبح لكل نوع من أنواع العبادة باطنا ، مما جعل الناس يسمونهم بالباطنية.
انظر أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ، ص١١،١٢ - الشهرستانى : الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، ص١٩٢ - عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص٦٠-٦٣ .

(٤) مزيدا عن نشاط الاسماعيلية على يده انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٤٦٨ - الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٦٨ - الزركلى : الأعلام ، ج١ ، ص١٦٣ .

يستعينون بهم فى اغتيال أعدائهم من القواد والأمراء والسلاطين الذين يقفون أمامهم عقبة فى طريق نشر دعوتهم . وقد أثار فدائيو الاسماعيلية قلق الناس فى أرجاء الدولة السلجوقية ، وكان أبرز عمل نسب الى الاسماعيلية فى عهد السلطان ملكشاه هو قتلهم لوزيره نظام الملك فى عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م(١).

وقد استغل الاسماعيلية ماأصاب الدولة السلجوقية من انقسام ونزاع وتفكك وحروب فيما بينهم من أجل عرش السلطنة بعد موت السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، فزادوا من نشاطهم ووسعوا مناطق نفوذهم من أجل نشر دعوتهم . وامتدت الدعوة الاسماعيلية الى أصفهان حيث استولوا سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م على قلعة شاهدز(٢)وهى احدى القلاع التى شيدها ملكشاه واستولى عليها أحمد بن عبد الملك بن عطاش أكبر دعاة الإسماعيلية(٣). وقد أصبحت هذه القلعة مركزا هاما للتخطيط والقضاء على كل من يحاول النيل من الدعوة الاسماعيلية وذلك لشحنها بالكثير من الأسلحة والعتاد والعدة والغلمان .

وانتشرت أيضا دعوة الاسماعيلية فى بلاد خراسان وماوراء النهر فملكوا فيها كثيرا من الحصون والقلاع ، وقد بث الاسماعيلية الرعب فى قلوب الناس بما كانوا يقومون به من خطف وقتل وتعذيب كل من يقف

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص٧١-٧٣ ـ دولة السلاجقة ص٦٣،٦٤،٦٨ ـ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥٩٥ .

(٢) قلعة شاهدز : وتكتب أيضا (شاه دز) وتسمى أيضا بقلعة "رذكوه" تقع قرب أصفهان وبناها السلطان ملكشاه حيث أنفق على بنائها ١٢٠٠ ألف دينار ، وتقع على جبل أصفهان وكانت معقلا لابن عطاش ، ومعنى كلمة شاهذر قلعة الملك . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣١٦ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ص١٦٨ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٤٦٨ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٦٨ ـ الزركلى : الأعلام ، ج١ ، ص١٦٣ .

أمامهم حائلا بينهم وبين نشر دعوتهم ، وقد ذهب ضحية الاسماعيلية عدد من أكابر رجال الدولة السلجوقية(١).

وفى سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م انتشرت دعوة الاسماعيلية فى العراق والجبل ، حيث ملكوا القلاع بعد استيلائهم عليها واستفحل أمرهم ، وأدخلوا الرعب فى قلوب الناس لقتلهم وتعذيبهم الرعية ، ومما جعل أمرهم يستفحل فى البلاد انشغال أبناء ملكشاه بنزاعاتهم وحروبهم فيما بينهم(٢).

ومما زاد من نفوذهم أن السلطان بركيارق استعان بهم فى نزاعه مع أخيه محمد على عرش السلطنة ، فكثر عددهم فى جيشه وكانوا يمثلون ربع جيشه تقريبا . كما استعان بهم السلطان بركيارق على من يريد قتله من الأمراء . ولما ارتاب منهم أمراء جيش السلطان بركيارق شكوا اليه مايلاقونه من الاسماعيلية كما شكوا اليه أن جنود أخيه محمد يتهمونه بالتحالف والاتحاد مع الاسماعيلية ، فانقلب السلطان بركيارق على الاسماعيلية ، وأذن لجنوده بقتالهم ، بل سار والعسكر معه فقاتلهم حيثما كانوا بعنف وقوة وشراسة وطهر جيشه منهم وشردهم كل مشرد . والسبب الذى دفع السلطان بركيارق الى قتال الاسماعيلية والتخلص منهم أنه شعر بضرر الاستعانة بهم اضافة الى ازالة الفكرة السائدة بين الناس أنه اعتنق معتقداتهم واتهامه بالميل اليهم من أجل عدم التعرض لأذاهم(٣).

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج٢ ، ص٢٢،٢٣،٢٨ ـ عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص٨٥ ـ مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص٢٤٦ ـ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦٠٦ .

(٢) الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج٣ ، ص٣٣٨ ـ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٠٠ ـ ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٩٥،٩٦ ، ج٥ ، ص٢٦ .

وفى السنة المذكورة قتل الأمير جاولى سقاوا[١] عددا كبيرا من الاسماعيلية والسبب الذى دفعه الى قتلهم هو قطعهم للطرق المؤدية الى بلاده وانضم جماعة من أصحاب جاولى الى الاسماعيلية وأظهروا الولاء لهم الى أن وثقوا بهم ، ثم انقلبوا عليهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا[٢].

وفى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م جمع الأمير بزغش[٣] كثيرا من عسكر خراسان وانضم اليه كثير من المتطوعين وقصد طبس لقتال الاسماعيلية فخربها وقتل خلقا كثيرا منهم وفعل بهم الأفعال العظيمة، ثم اشترط عليهم بزغش وعسكره بألا يبنون حصنا ولايشترون سلاحا ولايدعون أحدا الى دعوتهم ومذهبهم ، الا أن الكثير منهم رفضوا تلك الشروط القاسية عليهم[٤].

وفى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م عظمت شوكة الاسماعيلية وكان من جملة مافعلوه أن قوافل حجاج الهند وماوراء النهر وخراسان حينما وصلت على مقربة من الرى هجم عليهم الاسماعيلية فنبهوا أموالهم ومامعهم من متاع

---

(١) الأمير جاولى سقاوا أو (سقاوه) : وهو من مماليك وأمراء السلاجقة وبالأخص السلطان محمد بن ملكشاه ، أقطعه الموصل سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ، فاستولى عليها بعد أسره جكرمش ثم موته ، وقد امتد حكمه فى الموصل سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م فحدثت منافرة بينه وبين السلطان ، مما جعله يلحق بالسلطان فى أصفهان فعفى عنه السلطان وولاه بلاد فارس وظل بها الى أن توفى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م .
انظر ابو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ج٢ ، ص٢٢١ ـ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج٣ ، ص٦١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٠٢،٢٠٣ .

(٣) الأمير بزغش : كان له مواقف بطولية مع السلطان سنجر ففى عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م استطاع أن يقلب الهزيمة الى نصر عندما كان بصحبة سنجر فى المعركة التى وقعت مع السلطان بركيارق ، قام بقتل الأمير دا حبشى ، ثم فى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م قصد طبس لقتال الاسماعيلية فخربها وماجاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبى وبعد عودته توفى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص١٩٤،٢٢٣ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٠٤،٢٢٣ .

وقتلوهم(١).

وبعد أن تولى محمد بن ملكشاه السلطنة وجد أن قوة الاسماعيلية وصلت الى حد الخطورة الأمر الذى جعله يرى أن أهم عمل يقوم به هو القضاء عليهم .

وفى عام ٥٠٠هـ/١١٠٧م هاجم السلطان محمد الاسماعيلية فى قلعة أصفهان وتمكن من الاستيلاء عليها ، وأسر أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وأمر السلطان محمد بقتله هو وأبناؤه ، وأمر كذلك بقتل وزيره سعد الملك الآبى(٢) الذى ثبت عليه أنه متواطىء مع الاسماعيلية حيث كان يمدهم بالعتاد والأسلحة ، وأسند الوزارة الى ضياء الملك أحمد الذى يلقب بنظام الملك الثانى(٣)، وقد استمر السلطان محمد يتعقب الاسماعيلية(٤).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٢٨ ـ ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٢) سعد الملك الآبى : هو سعد الملك أبو المحاسن سعد بن محمد الآبى ، كان دينا يتصف بحسن التدبير ، وكان قاضى أصفهان عبيد الله الخطيبى ، قد كشف الوزير سعد الملك أنه اسماعيلى لما يقوم به سرا بدعم الباطنية فأخبر السلطان بذلك فأمر باعتقاله ثم صلب على بوابة أصفهان وقتل فى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م ، وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة أشهر .
انظر البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٩٠ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٢ .

(٣) هو ضياء الملك أبو نصر أحمد بن نظام الملك ، أسند الوزارة اليه السلطان محمد بعد مقتل سعد الملك ثم لقب قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام ، كان رجلا سهل المحجة ، صادق اللهجة اذا جلس فى صدر وزارته ، أحدق الصدور بوسادة سيادته ، وحسنت سمعته ، سجن اثنتى عشر سنة فلقى الهون والمذلة.
انظر البندارى : المصدر السابق ، ص٩٤-٩٨ ـ الحسينى : المصدر السابق ، ص١٧٣

(٤) ابن الفلاح الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص٤١٠ ـ الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج٣ ، ص٣٥٤ ـ عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص٩٧ ـ محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والادارية ص٧٥،٧٦ .

وكان فخر الملك فى بداية الأمر وزيرا لتتش ثم حبسه ، ولما هزم تتش من السلطان بركيارق أصبح فخر الملك فى أسر أخيه مؤيد الملك وزير السلطان بركيارق ، وقد أخذ يفكر وهو فى حبسه الكيد لأخيه وكانت وسيلته فى ذلك الاتصال بعدوى أخيه اللدودين وهما مجد الملك القمى وزبيدة خاتون(١).

وقد تمكن بحيلته وذكائه من الكيد لأخيه وهو فى حبسه ونجح فى تحقيق مسعاه وهدفه ، حيث عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك وأفرج عن فخر الملك وعينه وزيرا له فى عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م . ثم مالبث أن نشب الخلاف بين مجد الملك القمى وبين فخر الملك وذلك بسبب أن أمور الوزارة كانت فى حقيقة الأمر تحت تصرف وسلطان مجد الملك القمى اضافة الى أن زبيدة خاتون كانت تسانده، ومن ثم نشب بين فخر الملك ومجد الملك خلاف كبير ترتب عليه أن عزل السلطان بركيارق فخر الملك وعين مجد الملك بدلا عنه ، وتوجه فخر الملك الى نيسابور ولم يدم فخر الملك فى نيسابور طويلا

---

(١) زبيدة خاتون : هى زوجة السلطان ملكشاه والدة السلطان بركيارق ، عندما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادما ليحضر والدته (زبيدة خاتون) من أصفهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الأمراء وأشاروا عليه بتركها فقال أريد الملك لها فلما وصلت اليه وعلمت مادبره لها تنكرت على مؤيد الملك وكان بصحبتها مجد الملك وعلم أنه لايتم له أمر مع مؤيد الملك بسبب الخلاف الحاصل بينه وبين أخيه فخر الملك منذ وفاة والدهم نظام الملك ، فلما علم فخر الملك تنكر أم السلطان (زبيدة خاتون) على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالا طائلة فى الحصول على الوزارة فتحقق له ذلك . انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص١٧٨ .
ويبقى الحقد فى صدر مؤيد الملك حيث استغل منصبه عندما عين وزيرا للسلطان محمد بن ملكشاه وفى أثناء صحبته مع السلطان لمدينة الرى وجد عدوته اللدود (زبيدة خاتون) فأخذها وسجنها فى القلعة وأراد قتلها فأشار عليه ثقاته بعدم فعل ذلك الا أنه لم يستمع لهم فقام بخنقها فى القلعة وكان عمرها اثنين وأربعين سنة فتوفيت على أثر ذلك عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م .
انظر الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص١٩١ .

حيث عينه السلطان سنجر وزيرا له(١).

وفى يوم عاشوراء من سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م قتل فخر الملك ، وكان قد رأى فى ليلة مقتله وهو نائم الحسين بن على رضى الله عنهما قائلا له : عجل الينا وليكن افطارك عندنا . وحينما قص مارآه فى منامه على أصحابه نصحوه بعدم خروجه من داره تلك الليلة . فقام يقرأ القرآن ويتصدق بالكثير ، وفى وقت العصر خرج من داره حيث رأى شابا على باب داره يصيح متظلما حاملا فى يده رقعة فيها مظلمه ، فسأله فخر الملك عما به وماذا يريد ، فأعاد له الشاب الرقعة ، وبينما فخر الملك يتأملها ويقرأها طعنه الشاب بسكين وقضى عليه . وكان هذا الشاب من الاسماعيلية ، وقد قبض عليه وحمل الى السلطان سنجر . وادعى الشاب أن جماعة السلطان أرغموه على فعلته تلك ـ وهذا الادعاء ادعاء كاذب والحجة فى ذلك تبرير موقفه أمام السلطان محاولة لنجاته من الموت المحتوم ـ فأمر السلطان سنجر بقتله وقتل من ادعى عليهم بأنهم السبب فى فعلته الشنيعة(٢).

ومن هذا يتضح أن فخر الملك الوزير السلجوقى الكبير لكل من السلطانين بركيارق وسنجر كان ضحية من ضحايا الاسماعيلية . والمتتبع لتاريخ السلاجقة يتبين أن أباه نظام الملك كان ضحية أيضا على أيدى الاسماعيلية من ذى قبل .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٣٧ ـ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٥٥٨ ـ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٤٩ ـ حسن أحمد محمود ، وآخر : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص٦٠٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٢٣٧ ـ أبو الفدا : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج١٢ ، ص١٦٧ ـ ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج٢ ، ص٣٠ ـ خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربى أمين سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ص٢٧٥ ـ ادوار جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ص٣٩١ .

وفى سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م أراد السلطان محمد الاستيلاء على قلعة الموت الحصينة والقضاء على الحسن بن الصباح ، فأرسل جيشا بقيادة وزيره ضياء الملك أحمد فحاصر القلعة الى سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م وقتل الكثير من الاسماعيلية ولم يتمكن من الاستيلاء على القلعة بسبب الشتاء والبرودة القارصة ، وعاد هو ورجاله دون تحقيق أغراضهم ، ونتيجة لعجز الجيش السلجوقى عن الاستيلاء على قلعة الموت عظم شأن الاسماعيلية وازداد خطرهم متمثلا فى اغارتهم على المناطق المجاورة ومافعلوه بها من سلب ونهب(١).

وفى سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م أرسل السلطان محمد الأمير أنوشتكين شيركير صاحب ساوه وآوه وماجاورهما على رأس جيش كبير لقتال الاسماعيلية حيث تمكن من حصار قلعة الموت التى استمر فى حصارها سنوات طويلة وكان السلطان محمد يمده بالمدد والذخائر والعسكر ، وكاد الجيش السلجوقى يبلغ غايته بعد أن ضيق الحصار على الاسماعيلية داخل القلعة وانعدمت عندهم الأقوات وضاق الأمر بهم ، وكاد الجيش السلجوقى يستولى على القلعة الا أن وصول خبر وفاة السلطان محمد سنة ٥١١هـ/١١١٨م حال دون ذلك .

وبوصول خبر وفاة السلطان محمد ضعفت عزائم الجيش السلجوقى ومال الى الرحيل ، وأمل الاسماعيلية فى فك الحصار عنهم ، وبالفعل اضطر أنوشتكين الى فك الحصار عنهم بعد أن كاد يحقق مراده(٢).

ومن هنا يتبين أن السلطان محمد كان يتمتع بغيرة دينية كبيرة متمثلة فى تعقبه للاسماعيلية ومحاولته القضاء عليهم وعلى مذهبهم المخالف للسنة والحد من نفوذهم بأية وسيلة وتصفية قلاعهم .

---

(١) الحسينى : زبدة التواريخ ، ص١٧٠ ـ عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة ، ص٨٦ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٤٧،٢٤٨ ـ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص١٨٢،١٨٣ .

غير أنه بعد وفاة السلطان محمد عاد التطاحن على عرش السلطنة بين أفراد البيت السلجوقى - الأمر الذى هيأ للاسماعيلية مواصلة نشاطهم واستعادة قوتهم مما جعل فتنتهم تظهر من جديد بين حين وآخر .

وفى سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م دخل الاسماعيلية على قسيم الدولة أقسنقر صاحب الموصل فقتلوه فى الوقت الذى رحلت فيه عساكره نحو آذربيجان(١).

وفى سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م قتل الاسماعيلية كثيرا من كبار عسكر السلطان سنجر ، وكانت حيلتهم فى قتلهم أن ارتدوا ملابس النساء واستغاثوا بهم فوقفوا مستمعين لكلامهم ثم قتلوهم(٢).

وعودا على بدء يتبين أن فتنة الاسماعيلية ازداد خطرها بسبب الانقسام والخلاف بين أفراد البيت السلجوقى ومن ثم عاثوا فى البلاد فسادا وخرابا ودمارا ، وقتلا وخطفا للناس . وقد تمثل هذا الخطر فى كثرة حصونهم وقلاعهم التى كانت بمثابة مراكز للتخطيط لنشر دعوة الاسماعيلية اضافة الى القضاء على السلاجقة ودولتهم .

ولقد تصدى لهم سلاطين السلاجقة للحد من نشر دعوتهم بداية من السلطان بركيارق ثم السلطان محمد وأخيرا السلطان سنجر .

هذا وقد حارب السلطان سنجر الاسماعيلية منذ أن كان ملكا على خراسان من قبل أخيه بركيارق ثم محمد فى عام ٤٩٤هـ/١١٠١م .

وعلى الرغم من جهوده فى محاربة الاسماعيلية الا أن نفوذهم كان يزداد ويقوى ، وقد استطاعوا استمالة سنجر اليهم عن طريق ارهابه وتهديده بالقتل ، وعن طريق هذا التهديد وذاك الارهاب خشى سنجر على نفسه وحياته من تلك الفئة . ولقد وجد عن قرب مدى خطورتهم عليه ، حيث استيقظ يوما من نومه فوجد بجوار فراشه خنجرا ، ووجد رسالة

---

(١) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٥٧،١٥٨ .

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٥ .

بجانب الخنجر مكتوب عليها " ان الذى وضع الخنجر هنا قادر على وضعه فى رأسك" وذلك دفع السلطان سنجر الى الاسراع فى مهادنتهم وعقد صلح معهم فأرسل وفدا الى الاسماعيلية بشأن الصلح ، وبعد أن عاد أعضاء الوفد السلجوقى الى السلطان أخبروه بأن فدائى الاسماعيلية يطيعون زعيمهم طاعة عمياء وأنهم على أتم الاستعداد لبذل حياتهم وروحهم من أجل ذلك ومن أجل عقيدتهم .

ولم يتردد السلطان سنجر فى عقد صلح ومودة مع الاسماعيلية ، ومن قبيل ذر الرماد اشترط عليهم أن يكفوا عن بناء الحصون وشراء الأسلحة والدعوة الى مذهبهم ، الا أن هذا الصلح لم يمنع الاسماعيلية من أن تزداد قوتهم ولم يمنع ذلك من اغتيال معارضيهم والقيام ببعض حوادث النهب والسلب(١).

ولم تكن مهادنة السلطان سنجر وخضوعه للاسماعيلية بسبب خوفه على حياته منهم وانما ـ وفقا لأكثر الترجيحات ـ لكى يتاح له الوقت للاستعداد لقتالهم والتخلص منهم .

وقد ظل نشاط الاسماعيلية فى الفترة الأخيرة من حياة زعيمهم حسن الصباح مستقرا بعض الشىء وان كان لايخلو من بعض الحوادث الفردية من قتل ونهب . وبعد موت حسن الصباح سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م تجدد نشاطهم مرة أخرى من قتل ونهب وسلب . واعتبر السلطان سنجر أن ذلك نقضا للصلح والهدنة التى عقدت بينه وبين الاسماعيلية من قبل(٢)، لذا أخذ السلطان يعد العدة للهجوم عليهم .

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة الاسلامية المستقلة فى الشرق ، ص٢٣٥ ـ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص١٨٣،١٨٤،٢٢٠ .

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : المرجع السابق ، ص١٨٤ .

وفى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م أمر السلطان سنجر وزيره معين الملك ابو النصر أحمد بن الفضل(١)لقتال الاسماعيلية ، فجهز جيشا الى طريثيث(٢)، وجيشا الى بيهق ، وجيشا الى طراز(٣)وأرسل الى كل مكان فى نيسابور جندا لقتال الاسماعيلية والقضاء عليهم . وقد نجح الجيش الموجه الى طريثيث فى احتلالها وقتل من بها من الاسماعيلية(٤).

وفى عام ٥٢١هـ/١١٢٧م قتل معين الملك وزير السلطان سنجر على يد الاسماعيلية مماترتب عليه ازدياد العداوة بين السلطان سنجر والاسماعيلية ، وقاد السلطان سنجر جيشا جرارا تجاه ألموت ودارت بين السلطان والاسماعيلية بها حربا قوية قتل السلطان منها مايقارب عشرة آلاف منهم(٥).

وفى عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م توجه الأمير بزغش على رأس جيش وحاصر قلعة كردكوه بخراسان وطال الحصار مدة كبيرة الا أنه رحل عنها فى نهاية الأمر ، ويقال ان سبب رحيل الأمير بزغش عن القلعة هو وصول المال

---

(١) معين الملك أبو النصر أحمد بن الفضل : كان له مواقف حسنة فى قتال الاسماعيلية حيث حقدوا عليه الى أن جاءت الفرصة لهم فى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م وقاموا بقتله فرزقه الله الشهادة على أيديهم .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٢٥ .

(٢) طريثيث : كتبها العرب ترشيش وترشيس ، تقع فى شمال غربى قوهستان ، بنى الاسماعيلية بها القلاع .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٣٩٤ .

(٣) طراز : هى الآن مدينة تقع فى جمهورية كازاخستان ، وهى بلد قريب من اسفيجاب من ثغور الترك .
انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣١٩ .

(٥) أبو الفدا : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج١٢ ، ص١٩٨ - ادوارد جرانفيل براون تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ص٣٩٠ - شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ، دار المعارف ، ص٥١٢ .

والمواد الى المحاصرين من الاسماعيلية(١).

وفى عام ٥٣٥هـ/١١٤١م قتل المقرب جوهر على يد الاسماعيلية وهو من أكبر أمراء السلطان سنجر ، مما أدى الى غضب الأمير عباس شحنة الرى وذلك بهدف اثارة السلطان سنجر للتحرك ضدهم ، وتحرك الأمير عباس على رأس جيش لقتال الاسماعيلية للثأر من مقتل المقرب جوهر ، وفعل بهم مالم يفعله أحد من قبله بالتمثيل بهم(٢).

وفى عام ٥٤٦هـ/١١٥٢م سار الأمير قجق(٣)مع جمع من عسكر السلطان سنجر الى طريثيث بخراسان حيث أغار على الاسماعيلية وقتل وسبى وخرب ودمر(٤).

ومن هذا يتضح أن السلطان سنجر قاد بنفسه الجيش للقضاء على الاسماعيلية كما حدث فى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م ، اضافة الى ارساله لوزرائه ولأمرائه فى مهام قتالية وانتقامية من الاسماعيلية فى عقر ديارهم .

ومن هذا يتضح أيضا أن مهادنة سنجر للاسماعيلية فى بداية الأمر لم تكن الا مجرد مرحلة انتقالية حتى تسمح له الظروف والأحوال للانتقام منهم والقضاء على خطرهم .

غير أنه بعد هزيمة السلطان سنجر على يد الغز فى عام ٥٤٨هـ/١١٥٤م وأسرهم له ، أصاب السلاجقة الوهن والضعف فوجدت الاسماعيلية الفرصة سانحة لهم ولاسيما أن جيش السلطان سنجر كان مشغولا مع الغز لدفع بأسهم عن بلاد ماوراء النهر وخراسان .

وفى عام ٥٤٩هـ/١١٥٥م اجتمع كثير من جند الاسماعيلية بلغ عددهم

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٤ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٦٨ ـ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص٢١٨ والملوك السلجوقية ، ص٢١٨ .

(٣) الأمير قجق : لم أقف على ترجمة له .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٣٠ .

سبعة آلاف رجل من قهستان (١) وتوجهوا نحو خراسان يريدونها نظرا لانشغال جندها بالحرب مع الغز ، وتصدى لهم الأمير فرخشاه بن محمود الكسانى (٢) وجماعة من أصحابه وأتباعه ، ولم يستطع ومن يعاونه التغلب على الاسماعيلية وأسرع فى مراسلة الأمير محمد بن أنز (٣) وهو من أكابر خراسان ، يطلب منه المسير اليه بعسكره ، فسار اليه فى جمع كبير من العسكر وانضموا الى الأمير فرخشاه وجنده واشتبكوا مع الاسماعيلية فى عدة معارك وأكثروا فيهم القتل وشددوا هجماتهم عليهم . وانهزم الاسماعيلية أمامهم شر هزيمة فهلك أعيانهم قتلا وأسرا ، وخلت حصونهم وقلاعهم من حماتها .

ولولا انشغال جند خراسان بحربهم مع الغز لاستطاعوا بكل يسر وسهولة القضاء على الاسماعيلية وأراحوا المسلمين من شرهم (٤).

وفى سنة ٥٥١هـ/١١٥٧م هاجمت الاسماعيلية طبس بخراسان فأوقعوا بها وقعة عظيمة وأسروا جماعة من أعيان السلطان سنجر وقتلوا منهم الكثير (٥).

---

(١) قهستان : ورد عند الشريف الادريسى بلفظ "قوهستان" وأيضا عند كى لسترنج وهو اقليم من أعمال خراسان ومعناه بلاد الجبل ، وسمى بذلك لطبيعة أرضه الجبلية .
انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٣٩٢ ـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، ج٢ ، ص٦٨٣، ٦٩١ .

(٢) الأمير فرخشاه بن محمود الكسانى : لم أقف له على ترجمة .

(٣) الأمير محمد بن أنز : تولى امارة قهستان فأرسل فى سنة ٥٥٤هـ/١١٦٠م جيشا من الجبال الى بلد الاسماعيلية ، فقتلوا كثيرا من جنودهم وأسروا الأمير الذى كان يقودهم ، ثم أغار فى سنة ٥٥٩هـ/١١٦٥م على بلد الاسماعيلية بخراسان وكان أهلها غافلون فقتل منهم وغنم وأسر وسبى .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٦٧، ٩٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٤٦ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٢ .

وفى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٨م أغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان وقتلوا ونهبوا وسبوا الكثير مهم وكان لهذا الاعتداء على الحجاج أثره السيء الكبير فى نفوس كثير من أمراء المسلمين الذين تصدوا للاسماعيلية (١).

ففى نفس العام توجه رستم بن على بن شهريار شاه مازندران (٢) الى قلعة ألموت وهجم على الاسماعيلية وقتل أهلها وسلب ممتلكاتهم وأموالهم وسبى نساءهم ، واسترق أبناءهم ، ونتيجة لهذا الهجوم انزوى الاسماعيلية وأصابهم الوهن وخربت بلادهم مالم يعمر فى السنين الكثيرة (٣).

وكان لأهل السنة يحقرون الاسماعيلية ويطلقون عليهم عبارات وألفاظ متعددة مثل منكروا الدين ، والضالون ، والملحدون ، وأعداء الاسلام والمسلمين ، والزنادقة وغيرها من الألفاظ . وقد رجحت كفة السنة حينما خرج بعض أهالى الاسماعيلية على مذهبهم (٤).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٥٦ ـ أبو الفدا : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج١٢ ، ص٢٣٦ ـ الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج٤ ، ص١٤٦ النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ج٢ ، ص٥١٩ .

(٢) رستم بن على بن شهريار شاه مازندران : استنجد به الأمير ايشاق صاحب جرجان ضد يغرخان والغز سنة ٥٥٥هـ/١١٦١م فأجابه شاه مازنذران فوقع القتال بينه وبين يغمرخان وانتهى بهزيمة يغمرخان ، استولى على قومس وبسطام سنة ٥٥٩هـ/١١٦٥م توفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٦م ، وتولى ابنه بعده .
انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص٧٠،٩٠ .
ومازندران : هو المسمى باقليم طبرستان ، الممتد من كيلان ودلتا النهر الأبيض فى الغرب الى الزاوية الجنوبية الشرقيةمن بحر قزوين ، وهنا يتصل اقليم طبرستان (مازندران) بجرجان .
انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١،٩٠ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٦ .

(٤) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص١٧٣،١٨٧ .